كُنّاشة: (١٣)

قُصاصات حول: ﴿كُفُوًا﴾

إبراهيم عليّ السّفسيف

سُئل آية الله العلامة الشيخ محمّد صنقور(حفظه الله): "كيف تُقرأ كلمة (كفوًا) في سورة التوحيد؟"

فأجاب: "تجزي في كلمة ﴿كُفُوًا﴾ من سورة التوحيد القراءة بأحد وجوهٍ أربعة(...)"[١].

وتتلخّص الإجابة في أمرين:

- **الأوّل: رجّح قراءة ﴿كُفُوًا﴾(الإخلاص:٤) من بين القراءات الثلاث المشهورة؛ وذلك لأنَّها قراءة حفص عن عاصم عن أبي عبدالرحمن السلميّ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام).**
- **الثاني: ترك القراءة احتياطًا بـ(كفْوًا) بسكون الفاء والواو المنوّنة بالفتح؛ لأنّها "قراءة غير مشهورة، وإنْ كانت تصحّ على لغةٍ، إلّا أنَّه ونظرًا لعدم اشتهارها فالأحوط ترك القراءة بها".**

انطلاقًا ممّا سبق، هذه خمس قصاصات جمعتها من مصادر متفرّقة، من شأنها أنْ تُبيّن ما أفاد به الشيخ العلّامة(حفظه الله)، وأنْ تُسهم -بحسب المأمول- في إنهاء الجدل حول هذا الموضوع في ساحتنا البحرانيّة، أعرضها على النحو الآتي:

---

[١] انظر: الإجابة كاملة على الرابط: https://www.hodaalquran.com/question/8019.

القصاصة الأولى:

القراءة سُنّة

شهد القرنان الثاني والثالث الهجريّان ازديادًا في عدد رواة القراءات القرآنيّة، ورافق ذلك ازديادًا في الاختلاف بينهم.

وهذا ما دفع ابن مجاهد التميميّ(ت٣٢٤هـ) إلى اختيار سبع قراءات منها، هي قراءات سبعة من القرّاء الأئمّة الذين عاشوا في القرن الثاني الهجريّ، حيث تلقّوها عن أوّليّهم تلقّيًا، وقام بها في كلّ مصر من الأمصار رجل ممّن أخذ عن التابعين، وأجمعت الخاصّة والعامّة على قراءته وسلكوا فيها طريقته، وتمسّكوا بمذهبه.

على أنّ صفة هؤلاء السبعة، أنّ كلّ واحد منهم هو مِن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارف باللّغات ومعاني الكلام، البصير بعيب القراءات، المنتقد للآثار[١].

فعلى هذا، كان الأساس في قبوله القراءة التلقّي بالسماع والمشافهة. يقول أبوعمرو الدانيّ(ت٤٤٤هـ):

"أئمّة القرّاء لا تعمل في شيء من حروف(قراءات) القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربيّة، بل على الأثبت في الأثر، والأصحّ في النقل والرواية، وإذا ثبت عنهم لم يردّها قياس عربيّةٍ، ولا فشوّ لغةٍ؛ لأنّ القراءة سنّة متّبعة يلزم قبولها والمصير إليها"[٢].

---

[١] ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات: ٤٥-٤٩.

[٢] أبوعمرو الدانيّ، جامع البيان في القراءات السبع: ١/ ٨٦٠.

القصاصة الثانية:

حفص راوية عاصم

الخامس من القرّاء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد، هو: عاصم بن بهدلة[1] أبوالنجود الأسديّ الكوفيّ(ت١٢٧هـ). كما اختار له راويان، هما: حفص بن سليمان بن المغيرة الأسديّ الكوفيّ(ت١٨٠هـ)، وأبوبكر[2] بن عيّاش بن سالم الأسديّ الكوفيّ(ت١٩٣هـ).

قالت الباحثة حليمة سال: قرأ حفص على عاصم مرارًا، وكان الأوّلون يعدّونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عيّاش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأها على عاصم، وأقرأ الناس بها دهرًا طويلًا، قال ابن معين هو: أقرأ من أبي بكر.

وقال أبوهشام الرفاعيّ: كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم، فكان مرجّحًا على شُعبة بضبط الحروف".

وقال ابن مجاهد: "بين حفص وأبي بكر من الخُلف في الحروف خمسمائة وعشرون حرفًا في المشهور عنهما.

رُوي عن حفص أنّه قال: قلتُ لعاصم: إنّ أبا بكر شُعبة يخالفني في القراءة، فقال: أقرأتُك بما أقرأني به أبوعبدالرحمن السلميّ عن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) عن النبي(صلى الله عليه وآله)، وأقرأتُ أبا بكر بما أقرأني به زِر بن حُبيش عن عبدالله بن مسعود.

---

[1] قال بعضهم: بهدلة أمّه. وقيل: بهدلة أبوه، ويكنى بأبي النجود.

[2] في اسمه أقوال، فقيل: اسمه كنيته، وقيل: شُعبة، ومحمّد، ومطرف، ورؤبة، وغيرها.

وذكر حفص أنّه لم يخالف عاصمًا في شيء من قراءته إلّا في قوله تعالى في سورة الروم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾(الروم:٥٤)، قرأ حفص لفظيْ " ضَعْفٍ" و"ضَعْفًا" في الآية بضمّ الضاد، وقرأ عاصم بالفتح.

وأكثر الروايات انتشارًا في العالم الإسلاميّ اليوم هي رواية حفص عن عاصم، فعامّة أهل المشرق العربيّ يقرأون القرآن بروايته[١].

القصاصة الثالثة:

القراءات في ﴿كُفُوًا﴾

قال ابن مجاهد: "قرأ ابن كثير وابن عامر والكسائيّ وأبوعَمْرو في رواية اليزيديّ وعبدالوَارِث (كُفؤًا) بِضَم الْفَاء مَهْمُوزَة.

وروى عبّاس بن الْفضل والقطعيّ عن مَحْبُوب (كُفؤًا) مهموزًا خَفِيفًا.

وقرأ حَمْزَة (كُفؤًا) مَهْمُوزَة خَفِيفَة.

واختلف عن نَافِع، ففي رِوَايَة ابن جماز وخلف عن المسيبيّ وأحمد بن صالح عن ورش وأبي عمَارَة عن يَعْقُوب وأبي عبيد عن إِسْمَاعِيل (كُفؤًا) مُثقّلًا مهموزًا.

وكذلك خَارِجَة عَن نَافِع.

[١] حليمة سال، روايتا ورش وحفص.. دراسة تحليلية مقارنة: ١٠٠-١٠١.

وروى الكسائيّ وسليمان الهاشميّ عن إسماعيل عن نَافِع (كفؤًا) خَفِيفًا مهموزًا. وكذلك أخبرنا إسماعيل بن إِسْحَق عن قالون مثله.

وكذلك قال أبوبكر بن أَبي أويس (كُفؤًا) خَفِيفًا مهموزًا.

وكذلك قال محمّد بن إِسْحَق عن أبيه عن نَافِع وأبوعمَارَة عن إِسْحَق عن نَافِع وكذلك أبوعَمْرو عن إِسْمَاعِيل.

وحدثني المروزيّ عن ابن سَعْدَان عن إِسْحَق عَن نَافِع (كُفؤًا) مُثقّلًا غير مَهْمُوز.

وقرأ عَاصِم في روَاية أبي بكر (كُفؤًا) مُثقّلًا مهموزًا.

وروى حَفْص عَن عَاصِم (كُفوًا) مُثقّلًا غير مَهْمُوز"[1].

القصاصة الرابعة:

تعليل ﴿كُفُوًا﴾

قال الدكتور علاء إسماعيل الحمزاويّ في بحثه عن الأسس الصوتيّة لبعض التغيّرات الصرفيّة لرواية حفص عن عاصم، والتي من بينها الهمْز تحقيقًا وتسهيلًا:

اللغة الأدبيّة النموذجيّة تميل إلى تحقيق الهمْز، وهي اللغة الفاشية، وقد اتّسمت بها رواية حفص. ومن ثمّ فإنّ الهمْز هو اللغة الأُوْلى وأنّ التسهيل لغة ثانية، حيث لجأت إليه قبائل الحجاز تخفيفًا؛ ليتواءم مع تحضّرها.

[1] ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات: ٧٠١-٧٠٢.

وقد حفظت قراءة حفص نماذج قليلة منه تُحصى عددًا. منها ﴿كُفُوًا﴾ في سورة الإخلاص. فكلّ القرّاء قرأوها بالهمْز إلّا حفصًا فقد قرأ بالتسهيل.

ولعل هذا ما دفع أبا شامة إلى القول: إنّ من شأن حفص تحقيق الهمْز أبدًا، وإنّما وقع له الإبدال في (كفوًا)؛ جمعًا بين اللغات؛ لأنّ من عادته مخالفة أصله.

وربّما جاء التسهيل هنا نتيجة ضمّ الحرف الثاني، والضمّ هو الأصل، والإسكان تخفيفًا، والضمّ يُوجب قلب الهمزة حرفًا من جنس الحركة.

ولعلّ ما قاله صاحب كتاب (مختصر أصول القراءات) يؤكّد هذا الرأي؛ إذْ يقول: مَن أبدل الهمزة واوًا، فعلى مراعاة الأصل الذي هو الضمّ؛ لأنّ الهمْزة إذا انفتحت وانضمّ ما قبلها أُبدلت واوًا[1].

هذا من الجانب الصرفيّ، أمّا من جانب التفسير البيانيّ، فقد علّل الدكتور فاضل السامرائيّ مجيء ﴿كُفُوًا﴾ في الآية بالقول: ليس عندنا في العربيّة اسم مُعرب في آخره واو لازمة قبلها ضمّة، وإنّما قد يحصل بالإبدال كـ(هزوًا).

فإذا حصل تُقلب ياء، كـ(التسامي) وأصلها (التسامو) و(التعالي) وأصلها (التعالو)؛ بموجب قاعدة إعلاليّة ثابتة.

فجاء بكلمة ليس لها نظير لمَن ليس له نظير[2].

---

[1] د. علاء الحمزاويّ، الخصائص اللغويّة لقراءة حفص.. دراسة في البنية والتركيب: ٥١-٥٢.

[2] على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=93YOFEgGmaY.

القصاصة الخامسة:

نكتة تفسيريّة

قال الشيخ الطوسيّ(ت٤٦٠هـ): وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ نفيٌ من الله تعالى أنْ يكون له مِثْل أو شبيه أو نظير.

والكُفُؤُ والكُفَى والكِفَاء، وهو المِثْل والشِّبْه.

ولا حيٌّ من الأحياء إلّا وله مِثْل إلّا الله تعالى، فلذلك قال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. ورُوي أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) **كان يقف عند آخر كلّ آيةٍ من هذه السورة**[1].

الإثنين: ٧ ذو القعدة ١٤٤٦هـ/ ٥ مايو ٢٠٢٥م.

[1] الشيخ الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن: ١٠/٤٣١-٤٣٢.